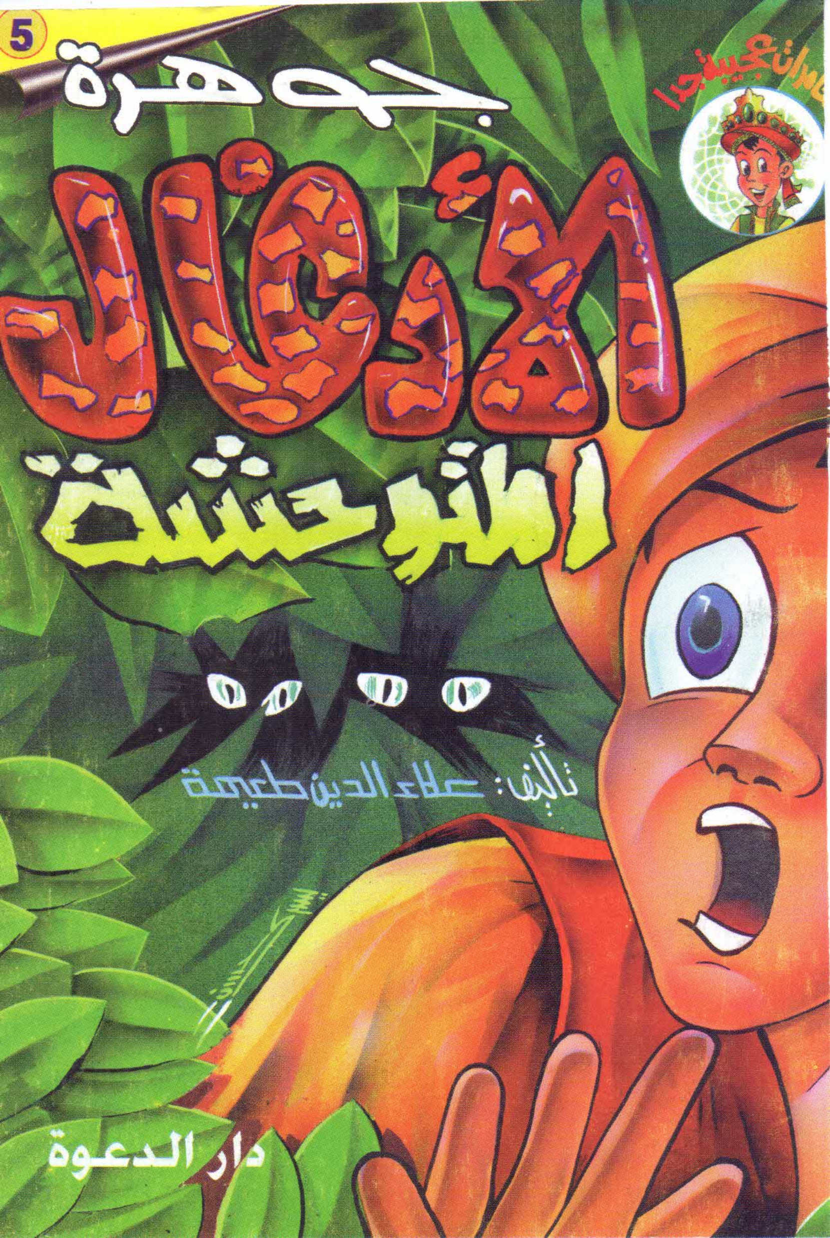
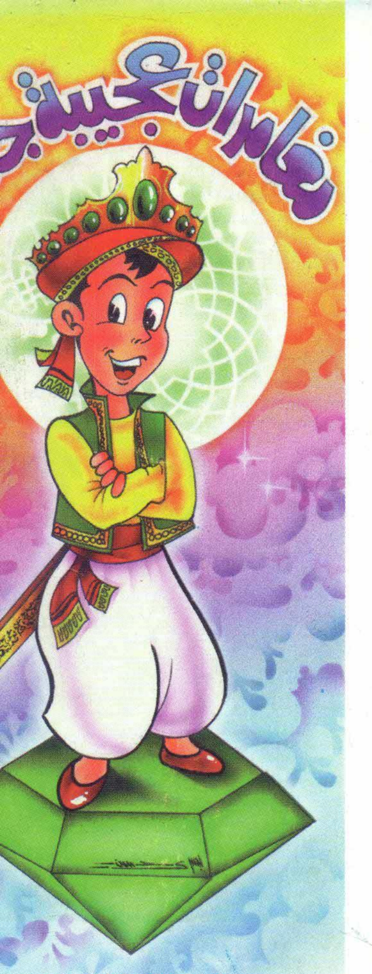

5
عجيبة جدا
جمهرة
الأدغال
المتوحشة
تأليف: علاء الدين طعيمة
دار الدعوة



جوهرة

الأدغال المتوحشة

يجب أن تتعلم كيف تعيش هناك وكيف تجد الماء والطعام ، وكيف توقد النار ومن المهم جداً الإستعداد لمواجهة أى طارئ ، إن الأدغال ليست على وئام مع الإنسان ، كن يقظاً دائماً .. تفحص الأرض التى أمامك بكل عناية ، الله معك يا بنى .

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي : ٢ شارع منشا ـ محرم بك ـ الإسكندرية

ت : ٤٩٠١٩١٤ ـ ٤٩٠٧٩٩٨ ـ فاكس ٥٩٥١٦٩٥

مكتب توزيع القاهرة : ٣٨٣٢٧٤٧

- سلسلة مليئة بالإثارة والتشويق .
- أغرب الرحلات والمفارقات .
- تجمع بين المتعة والمعرفة .
- لا غنى عنها في الرحلات والبيت والمواصلات

سلسلة

مغامرات مؤمن



جوهرة الأدغال المتوحشة

الطبعة الثانية

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

رقم الإيداع القانونى

١٩٩٦/٥٩٤٣

الترقيم الدولي : 977-253-103-8

دار الدعــوة للطبع والنشر والتوزيع

المركز الرئيسي: ٢ ش منشا - محرم بك - الاسكندرية

☎ ٣٩٠١٩١٤ - ٣٩٠٧٩٩٨ - فاكس ٥٩٠١٦٩٥

جوهـــرة
الأدغال المتوحشة

تألف/ علاء الدين طعيمة

رسوم / يسرى حسن

الإشراف العام / أحمد خالد شكرى

بسم الله الرحمن الرحيم

« سلسلة مغامرات مؤمن»

قمة الفرح أن يعثر الإنسان علي تاج أثري عتيق خال من الجواهر ولكن تكون هي قمة الإثارة والمتعة عندما تتابع وتقرأ مغامرات ذلك البطل وهو يسعي للعثور علي جواهر هذا التاج ، إنه يسافر في رحلات عجيبة عبر البحار والأنهار فيتعرض للأخطار والأهوال ويري نماذجاً غريبة من البشر وعجائب الأرض والسماء من الإنس والجن والأحياء والأموات وفي كل مغامرة بعد العناء والصراع مع المكان والزمان يفلح في إضافة جوهرة جديدة إلي التاج .

علاء الدين طعيمة

جوهرة الأدغال المتوحشة

«يجب أن تتعلم كيف تعيش هناك وكيف تجد الماء والطعـــام، وكـيف توقــد النار، ومن المهــم جــداً الاستـعداد لمواجـهة أى طارئ، إن الأدغـال ليست على وئام مع الإنسان ، كن يقظاً دائمــاً .. تفحص الأرض أمامك بكل عناية، وتجنب التسرع.. وإياك أن تحاول التنقل فى الأدغال ليــلاً .. إن الحياة هناك شبه مستحيلة ... الله معك يا بنى »

كانت هذه هى الكلمات التى كـان يتذكرها مؤمن وهو جـالس على متن القـارب الكبـير المتـجـه إلى الأحراش الهندية، وقد لاحت من بعيد هذه الأدغال المرعبة .. تذكَّر هذه الكلمات التى قـالها له الصياد الرحالة الذى كـان يجوب العالم . ومـر بالقاهرة، فسأله، عندما التقيـا عند مستنقع البوص ... حيث كان الصياد يتطلع إلى صيد البط المصرى الأخضر..

وكـان مـؤمن قد ثَبَّتَ الجـوهرة الرابعـة فى التـاج، فظهـرت عليه عـبارة تـدل على الجوهرة الخـامسـة وكانت تقول:

«إنهـا فى أدغـال الهنود» ولهـذا فهـو الآن بعـد نصـيحة الصـياد يسـتقـبل أدغال الهنود بـين خوف وشوق، ويذكـر كلمات الصيـاد بين الحين والآخر، فـهى كل مـا لديه من مـعلـومـات عن هذه المناطق الغريبة

الجو ينزع إلـى شتاء لم يتـعوده الغـلام المصري، فالسماء ملبدة بغـيوم مستديمة لا أمل على الإطلاق فى انقشاعها، علا صوت قبطان القارب يأمر البحارة بالرسو على جـانب النهر للتـزود بالوقود من حطب جـاف، ونزل مؤمن من القـارب وقـرر أن يستـأنف الرحلة على قـدمـيـه ، فلقـد أصـبح فى أعـمـاق الأدغـال، وعليه أن يسـتكشف المكان بنفـسه، ومـا

زالت كلمات الصياد تتردد فى ذهنه:

«المهم جداً الاستعداد لمواجهة أى طارئ»..

لم يشعر بالخوف المميت إلا بعد أن رفع البحارة مرسى السفينة الصغيرة ، وألقوا عليه كلمات الوداع، ثم اختفى القارب وراء غيوم الأفق الأسود، واستقبلته الأدغال بأصوات لا حصر لها، فأدرك أن الغابات معمورة بملايين المخلوقات التى لا يعرف عنها أى شئ.

وأخذ يتأمل أمامه للأدغال الشاسعة كالبحر الأخضر اللانهائي.. الأشجار الكثيفة الكبيرة العمر، المتشابهة فى الشكل واللون والتكوين، والغابات محمولة بعضها فوق بعض، فهناك أشجار تحمل جذور أشجار أخرى قد نمت فوقها .. وقف ينظر إلى سيقان خشبية يبلغ سمكها قدمين وطولها أكثر من ستين قدماً، وتتشابك من أعلى لتصنع قمماً

شجرية . فأصبحت الخضرة الكثيفة أشبه بنسيج عنكبوتٍ ضخم، وأول ما شاهده من دواب الأرض. . هذه الجماعات من النمل والعقارب وذوات المائة رجل التى كانت تستظل تحت هذه الأشجار.

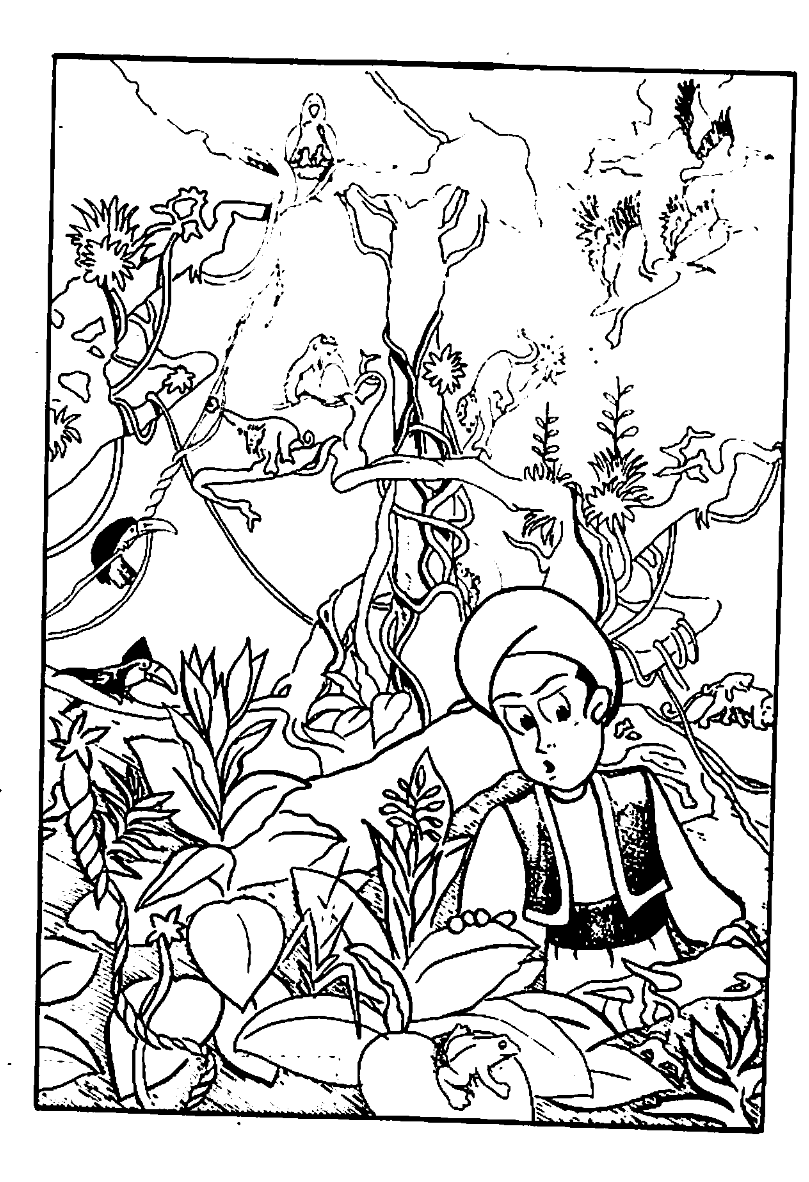
وهكذا فلقد اعتاد هذه الأمطار التى لن تكف أبداً عن الهطول، ولم يشعر بأن ملابسه قد ابتلت بما فيه الكفاية؛

وسار قليلاً يتخوض بين الآكام العريضة، يتلفت بين الحين والآخر نحو صوت زئير هنا أو صراخ طائر هناك . . وزادت التفاتاته، وأخذ يدور حول نفسه، وروعته أشجار الليانا المتسلقة التى تتعلق جذورها بالشقوق التى فى أغصان الأشجار الأخرى، وتلتف مثل الثعابين الضخمة وتتشابك فروعها، ولم يكن هناك أى أثر يدله على أن إنساناً ما قد وطأ هذه

الأرض من قبل.

وأدرك مؤمن أن هـذه المغامرة من أشـق وأصعب بل وأخطر مغامراته، وأحس أن هذه الجوهرة تحتاج إلى براعة و شجاعة وجسارة منقطعة النظير.. ورغم ذلك فلقد سكن الخوف قلبه الصغير.

كان النهـار فى أوله حينمـا كان يجـوب الأدغال يسير بلا هدى.. كل ما يعرفه هو أن الجوهرة تسكن قلب هذه الأدغال. تذكـر والدته، وأخذه الحنين إلى حنانها ونظرة عينيها الحانية الجـميلة ، وتذكر شفتيها العـذبتين وهى تـدعـو له فى كل وقت، واشـتـاق لوجـهها الصـبوح، وكـادت أن تأخـذه الأشجـان للبكاء، وبينما هو كذلك سـمع صوت آهات شديدة اسـتطاع أن يميزها مـن بين الأصوات الأخـرى التى كـانت تذخر بهـا الغابة من صـراخ وزئير وصـفيـر وألحـان لا تصـمت .. وأحس أن هناك إنسـان فى



مأزق ويتـأوه، فوقف من فوره ينظـر حوله وتمنى لو أن الضجيج والصخب ينتهى أو يصمت للحظة؛ حتى يستطـيع أن يتبين مصـدر هذه الآهات المتقطـعة التى كانت تصدر من مكان ما بين الحين والآخر.

أدرك أن عليـه إشـعار صـاحب الآهات به حـتى يتجاوب معه ويدله على مكانه، فأخذ ينادى بصوت عال فترة من الوقت، وحدث ما توقعه فلقد شعر به ذلك الإنسـان وأصدر آهات أكـبر وصرخ، وسـمع مؤمـن كلامه، وإن كـان لا يفهـمه إلا أنه اسـتطاع تحديد الاتجاه الذى يأتى منه، عـلى الفور قبض على سيـفه وجـدَّ السيـر حتى خرج إلى مكـان خالٍ من الأشجـار العمـلاقة، سـهل كالوادى الفسـيح تملؤه الأعشـاب والبرك، ونظر ليجـد شخصـاً ملقى على ظهره يئن ويتـوجع، وله هيئة غريبـة لم يرها مؤمن

من قبل فهرع إليه.

كان هذا الشـخص عارياً إلا ما يستـر عورته من الريش الملـون، ويربط حـول رأسـه رباطـاً من جلد الثعبـان، وعلى وجهه عدة نقوش غريبـة، وموشوم ذراعـه بوشم غريب، وكـان لونه ينزع إلى السمـرة ووجهه قـد ازداد شحوباً على شحـوبه بسبب ما ألمّ به، وبدا أنه مجروح وأن شيئاً ما كان يؤلمه.

اقـتـرب منه مـؤمن والسـيف فى يده، فلمـا رآه الرجل انتفض رغم ألمه، وصـاح به كأنه ينهره، وبدا أنه قـد ناصبـه العداء، ولكن مـؤمن أشفق عليـه، وابتـعـد قليـلاً منه ثم أشـار إليـه إشارات تشـعـره بالأمـان، ولكن الرجل كـان لا يقدر عـلى الحركـة فاستسلم لمؤمن الذى أخذ يقترب منه ويفحصه.

مر النهار بـطوله وقد انعقدت صداقـة بين مؤمن والشاب الهنـدى «رهمة» هكذا كان اسـمه، بعـدما

أدرك مؤمن أنه مصاب بكسر في عظمة الساق، وبعض الشروخ في عظام الذراعين، هذا غير السجحات والجروح الخفيفة في الجسم كله.

فبعدما اطمأن «رهمة» لمؤمن، وأحس أنه غريب عن المكان أخذ يشير إليه بتعليمات الحياة في المكان، والتي اتبعها مؤمن بحذافيرها، فاستطاع في النهاية أن يصنع كوخاً بسيطاً جداً من أوراق شجر الموز الكبيرة.. وجذب إليه رهمة، وتمكن من إشعال النار بعد أن أعيته الحيلة في العثور على خشب لم تبله الأمطار، فأشار عليه رهمة أن يبحث عنه تحت الصخور البارزة أو تحت جذوع الأشجار المائلة، وتمكن من صنع جبيرة من الخشب والبوص لساق رهمة، ثم قضى بقية الوقت في تضميد جروحه حتى هجم الليل فكانت النار خير أنيس لهما، وأخذ رهمة يحاول تعليم مؤمن بالإشارات تارة وبالرسم

تارة لغتهم الهندية، ويشرح له ما الذى أصابه هذه الإصابات وكيف حدثت،وكانت عيناه تفصحان لمؤمن عن امتنان وشكر عميق لماقد بذله من جهد من أجله.

عرف مؤمن أن الشاب الهندى كان يتتبع قطيعاً من الخنازير البرية، وكان عليه أن يحضره لقبيلته التى كانت تستعد للهجرة من المكان إلى مكان آخر، ولكنه أثناء الصيد فاجأه قطيع رهيب من الخنازير البرية فما كان منه إلا أن ألقى بنفسه تحت أقدامها قبل أن يلتهموه؛ فأصابه من القطيع ما أصابه، وكان على حالته هذه منذ يومين، ولما أشار عليه مؤمن بأن يخرج ليصيد له شيئاً يأكله، نهاه رهمة عن ذلك لأن الليل خطير جداً ولا صيد فيه ولا تجول. وفى الحال جلس مؤمن بنفس الطريقة شرح لرهمة أمر الجوهرة التى أتى من مصر ليبحث

عنهـا فى أدغالهم، وكـيف أنه سعـيد لمقابلـته لأنه سوف يؤنس وحدته ويدله على الطرق، ولكن كانت هناك نظرة حـزينة فى عينى رهمـة لم يعرف مـؤمن تفسيرها، وكان يسأل نفـسه: هل هى طبيعة وجهه؟ أم أن هناك شيئاً ما يحزنه ويزعجه؟!

وعرف مؤمن أن رهمـه لن يستطيع الحركـة لفترة طويلة، وأن عليه أن يخدمه حتى يشفي، كما عرف أن قبيلة رهمـة افتقدته . . وكانت هذه فرصـة كبيرة كى يتعلم فيـها لغة هؤلاء القوم ويتـعلم أيضاً كيف يواجه الحياة الشاقة فى الأدغال.

كما استطاع رهمة أن يفهـم كثيراً من لغة مؤمن وكان كل منهـما يتبارى مع الآخر فى الكـلام بلغته الجديدة.

سأل رهمة مؤمن:

ـ ما الذى جعلك تفعل معى كل هذا؟

فابتسم مؤمن وقال:

- قال رسول الله ﷺ: «من لا يَرْحَمُ لا يُرحَم»

فقال رهمة:

- لقد حدثتني كثيراً عن محمد ... إنه لرجل عظيم .. وإن ربكم الذى أرسله كبير عظيم.

فقال له مؤمن:

- والله يا رهمة قلبي يحدثنى بأنك سوف تسلم، وسيكون لك أمرٌ عظيمٌ فى قومك.

فلما ذكر مؤمن قوم رهمة وجده قد تغير وتجهم وتبدلت نظرته فلم يكمل حديثه.

ومرت أيام وأيام ومؤمن يتعلم من رهمة كيف يعالجه، وتحسنت حالته بعض الشئ، وشفيت جراحه كلها بهذه الأدوية التى كان يصنعها من أعشاب كان يطلب من مؤمن أن يحضرها له إلا أن رجله قد بقيت لها فترة أخرى حتى يستطيع السير بها.

وذات يوم قرر مؤمن أن يزيد من رقعة تجواله فى الغابة حتى يمكنه صيد فريسة كبيرة، لأنه قد اشتاق للحم فلقد كانا طيلة هذا الوقت يتغذيان فقط بثمار جوز الهند المغذي، وكان رهمة دائماً ينهاه عن الخروج للصيد حتى يتعلم كيف يحتاط لكل الأمور، وفى ذلك اليوم كان بينهما حديث طويل قبل خروج مؤمن للصيد فحذر رهمة صديقه مؤمن قائلاً:

ـ ستأتى النهر لتصيد لنا سمكاً، ولا تحسب أن صيد السمك مسألة هينة أو أن الأخطار لا تحفها من كل ناحية؛ إن النمور كثيرة تستمتع بالاستحمام فى الماء، فقد يقابلك أحدهم فلن تقدر عليه مهما فعلت، وقد تستحسن كتلة من الخشب قد جرفها التيار فتريد أن تقف عليها للصيد؛ فباستطاعة هذه الكتلة الخشبية أن تدب فيها الحياة بسرعة مذهلة، ولتجد نفسك فوق تمساح قد قام بتعريض نفسه

للرمل ليأخذ حماماً من أشعة الشمس فتثيره فيلتهمك ؛ وكن حذراً من سمك البيراني . . إنه صغير الحجم وله فك يشبه فك الكلب المسعور مزود بأسنان كبيرة وفى مثل حدة الموس . . فقضمة واحدة من فكيه ستنزع قطعة مستديرة من لحمك، وإذا حدث ذلك؛ فسيصاب السمك من رائحة دمك بنوع من الجنون والهوس ولسوف تتحول إلى هيكل عظمى فى دقائق معدودة .





كان مؤمن يسمع كلام رهمة وهو فاغرٌ فاه من شدة وقع الكلام، وبدا عليه إعراضه عن فكرة الصيد، ولكن رهمة كان يكمل كلامه:

- ثم أن ثعبان الأناكوندا المارد هو من أكبر أنواع الثعابين فى الدنيا كلها، فلون جلده يميل إلى السواد المخضر وعلى كل جانب من فكيه يوجد صف من الأسنان القوية المقوسة،وهذا الثعبان خبيث سريع التحرش، ورغم أنه يعيش فى الماء إلا أنه يقبل بشراهة على فرائسه من الحيوانات التى تعيش على اليابسة.

وهنا قاطعه مؤمن قائلاً:

- كل هذا من أجل سميكات بسيطة سوف نتغذى بها هذا اليوم؟ آه لو وجدت جوهرتى فى إحداهن فأرجع إلى أمي؟

ضحك منه رهمة وطمأنه، ثم علمه كيف يتخذ من ديدان الأرض طعماً ليصيد السمك، وسار مؤمن وحده حتى بلغ شاطئ النهر، ووقف يلقى بسنارته وهو يستشعر نهايته بين أى لحظة وأخرى.

ولم يكن هناك وقتٌ ينتظر فيه السمك أن يلتقط الطعم؟ حيث أن النهر كان يعج بالأسماك، فاستطاع أن يحرز سمكة كبيرة مع كل رمية له، ولاحت له من بعيد كتلة خشبية تتجه لترقد على الحافة الأخرى للنهر، فابتسم مؤمن وقد تأكد أنها تمساح كبير وحمد الله أنه بعيد عنه.. ونظر فى كيسه فإذا به حصيلة لا بأس بها فقرر أن يرجع إلى الكوخ ولكنه سمع بين الأشجار حركة غير طبيعية فنظر خلفه بسرعة فإذا من بين الأشجار يخرج شئ كالثور له قرنان وإن كان قصير القامة إلى حد كبير، ويبدو أنه ظن أن مؤمن عدو لدود ولذا فقد ناصبه العداء، وقرر أن يقضى

عليه، حمل مؤمن سيفه، ولكن الثور القزم اندفع بسرعة يهاجمه مثيراً التراب والهواء، ولم يكن لمؤمن حيلة غير ضربه بالسيف.. ولو أخطأه لمات طعناً بهذه القرون الحادة ، وظن مؤمن بنفسه شراً، ولكن حدث أمر عجيب فلقد تحرك الثور إلى بقعة من الأرض، فالتصق بسائل مطاطى كان يغطيها وعبثاً حاول أن يخرج أرجله منها فلم يستطع، وزاد خواره وعلا صخبه، وأنهكت قوته محاولاً الفكاك من الغراء اللاصق فلم يقدر،وكانت هى الفرصة الوحيدة لمؤمن، فأمسك صخرةً ورماها نحو الثور حتى يقترب منه دون أن يلتصق هو الآخر بالغراء العجيب، ثم وقف عليه وطوح ذراعه بالسيف الكبير، وبينما الثور فى لجاجته كان السيف أمضى فى الإجهاز عليه، وبعد ذلك نسى مؤمن أمر السمك، وأحضر غصناً مجدولاً من النبات المتسلق، وربط الثور القزم، وجره

وراءه حتى رهـمة الذى لم يصـدق نفسه عـندما رآه وقال:

ـ ما بالك صديقى المـصرى ... ؟ لقد انتظرت أن تأتينى بسمك فإذا بك تصيد ثوراً .. إنك لتلميذ نجيب.

وحكى مؤمـن قصة صـيد الثـور فضحـك رهمة وقال:

ـ إنك سعيد الحظ يا صديقى إن الثور قد وقع فى مصـيدة النمور .. لابـد أن صياداً مـا قد ترك هذا الفخ الذى صنعه لـلنمر؛ فوقع فـيه صاحـبك الثور الغبى .. مرحي.. إننى أتوق للّحم كثيراً .

وكـان هذا اليوم سـعيـداً، وكانت الليلة أمـسيـة جـميلة، قـضـياها فى قـضم اللحم المشـوى الذى أعطاهما قوة وزادهما فى الشدة ،وجدد نشاطهما ، وعجل شفاء رهمـة الذى كان يود أن يستطيع المشى

حتى يلحق بقبيلته.

ومرت عدة أيام كان فيها مؤمن قد ألم إلماماً كبيراً بهذه الحياة، إلا أنه كان يعجب من إمكان عثوره على جوهرته فى هذه الأدغال المتوحشة ..

تماثل رهمة للشفاء تماماً ؛ واستطاع أن يخلع الجبيرة وأن يسير على قدميه، إلا أنه كان يعرج عرجاً خفيفاً لم يثنيه رغم ذلك عن بدء رحلة البحث عن القبيلة، ولا شك أن مؤمن لن يتركه حتى ينتهى الأمر، وبدأت الرحلة فاستعاد رهمة لياقته، وإن كانت النظرة الغريبة فى عينيه يخفى على مؤمن تفسيرها .. وسارا يتضاحكان ويتحدثان طوال الرحلة .. وكانا يخترقان مساحات وعرة من الأدغال ، وذات مرة سأله مؤمن:

- على أى هدى تسير يا صديقي؟ ... هل



لديك خط سير القبيلة؟

نظر إليه رهمة ولم يتـوقف عن السير، وقال وهو يلتفت يميناً ويساراً يتابع أى جديد يجد فوق الأشجار وورائها:

ـ لكل قبيـلة عاداتها فى الترحـال والتجوال، وأنا أتتبع آثارهم من خلال هذه الآثار الـتى يخلفونها فى كل مكان، وأعتقد أننا نسير فى الاتجاه الصحيح .. بعد قليل سيعترضنا النهر، ولن تبعد القبيلة عن النهر مسافة تزيد عن اليوم.

أخذا يتحدثان، وهما يسيران حتى لاح لهما النهر من بعيد كالشعرة البـيضاء اللامعة فى اللوحة الداكنة الخضرة، والتى عكست خضرتها عليه فبدا لمعانه أشد وكأن الأخضـر يسيل على لوحته فى خط مـتعرج.

ولما أصبحا على مشارفه قال رهمة:

ـ المكان هنا ضحـل .. ولن نحتاج لقـارب حتى

ننجح فى عبور النهر ... هيا استعد فالحال على ما يرام تماماً.

شمر مؤمن سرواله ورفع حاجياته فوق رأسه كما فعل رهمة، وهمَّ معه بنزول ماء النهر إلا أن رهمة صرخ فيه صرخة حادة وجذبه خارج الماء بسرعة وهو يقول :

ـ ارجع يا مؤمن ... هناك خطر رهيب ... انظر يسارك .

لم يكن يتوقع أى منهما أن هذه الأعشاب المائية الخضراء تُتَوج ظهر تمساح كبير الحجم ويختفى أسفلها فى خبث ولؤم شديدين، فلقد استعد لاستقبال صيد ثمين بمجرد نزولهما للماء .. إنه يتحرك بسرعة مذهلة.

ونظر مؤمن نحو رهمة وكأنه يسأله عما ينوى فعله... ووقف رهمة ويديه فى خصره ينظر

للتمساح ثم قال:

- لابد أن نسير مسافة كبيرة حتى نبتعد عن هذا الوحش، ولا أضمن ألا نجد واحداً مثله فى انتظارنا، ثم إننا سنبتعد كثيراً عن خط السير، وسيستغرق وصولنا زمناً إضافياً لا لزوم له.

فقال له مؤمن:

- وماذا سنفعل حيال هذا الفك الرهيب؟ . . . هات الحل وبسرعة . أيصلح هذا السيف؟

ابتسم رهمة وقال:

- يا عزيزى . . . إن جلده أسمك من صفحة سيفك. . . ثم كيف ستنزل له . . هل تنوى مبارزته؟ لا . . . هيا معى نجمع بعض الغاب من البامبو . . هل لديك قطعة إضافية من لحم الثور؟.

كان مؤمن يتساءل عما ينوى رهمة فعله . . ولكنه أخرج قطعة لحم من الكيس، وأحضر رهمة

عوداً من غـاب البامـبو الصلب، ثم أخـرج خنجره، وأخـذ يقطعـه إلى شظايا حادة جـداً، ثم شق قطعـة اللحم شـقاً صغـيراً، وأخذ يـحشوها بالشظـايا حتى انتفخت منـها، ووقف غير بعيـد من الماء وألقى قطعة اللحم فوق طوف صغير صنعه من الألياف والأغصان الرقيقة، ودفعه إلى الماء، حتى إذا شم التمساح رائحة اللحم فـتح فمـه، وخرج بسـرعة من تحت النبـاتات المائية وابتلع اللحم فى الحال، وعاد إلى مخبأه . . ثم لـم يمض وقت طويل حتى أصابه الهياج، وأخذ يتلوى فى الماء محـدثاً ضجة وهرجلـة عظيمة، فلقـد كانت شظايا الغاب تمزق أمـعاءه ومعـدته، ولم تمض دقائق حتى القى نفـسه على الشاطئ لا حراك به، واقـترب منه مؤمن ورهمة.

ورغم مـوته إلا أن مـؤمن كـان يخـشى منظره المرعب. . . وأمـا رهمـة فلم يكن ليـقف أمـام جثـة

تمساح أكثـر من هذا، لقد هبط بسرعـة للماء، ودعا مؤمن للنزول فعـبرا النهر بسهولـة، وجلسا على البر الثـانى يتناولان بعض الطعـام ويستـريحـان من عناء الرحلة الشاقة.

ثم أقبل الليل فـقررا أن يبيتـا ليلتهما، قـام رهمة كالعادة بتأمين المكان، وناما نوماً هادئاً، ولكن مؤمن شعر بأن رهمة قد استـيقظ من نومه مبكراً، ولما فتح عينيه أحس أنه يجلس أمـامه، وهذه النظرة المرعبة لا تتحـول عنه وهونائم، وبدا له أن رهمة يـريد به شراً فقـام من فوره فـسلم عليه إلا أن رهمـةكان يمد يديه نحـوه، وبدت أسنانه أكثـر رعبـاً، وشعر مـؤمن أن رهمـة يريد أن يفتـرسه، فـانتـفض من مكانه ورفع السيف فى وجه رهمة الذى نظـر للسيف فلم يتقدم، ودهش مؤمن منه وهو يضع يديه على وجهه ثم يخر باكياً.

اقترب منه مـؤمن وجثا على ركبتيه بـجانبه وقال له:

ـ ما الذى جعلك تفـعل ذلك ؟ . . . ماذا أذنبت فى حقك حتى تنوى قتلي؟ . . ما الذى جرى لك؟ ولماذا كرهتني؟!

فقال رهمة وهو ما زال يبكي:

ـ سامحنى يا صديقى . . سامحنى . . . لم أكن أشعر بنفسي . . إنها رغبة متأصلة . . أنا حقاً مخطئ فى حـقك لقد أنقـذتنى من الموت وساعـدتنى، ثم أقابل كل ما فعلته معى بالخيانة والغدر . . . افعل بى ما تشاء . . هذا سيـفك . . لقد كنت أريد قتلك . . وأنت الآن صاحب السيف والحق . . فـاقطع رقبتى إن شئت.

فقال له مؤمن وهو ما زال على حذره:

ـ قال نبـينا ﷺ «أربع من كن فيـه، كان منافـقاً

خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن، كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان، وإذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»، وها أنت يا رهمة قد غدرت بى وخنت أمانة الصداقة، لقد قال النبى-ﷺ - ولكل غادر لواء يوم القيامة، يقال هذه غدرة فلان»

فنظر إليه رهمة وقال متسائلاً :

-ماذا يعنى هذا الكلام؟

قال مؤمن :

ـ معناه أنك غير جدير بالصحبة ولا الصداقة وأنك منافق شديد الخطر، ولا ينبغى لمؤمن أن يصاحب منافقاً يكذب ويخون ويغدر ويفجر فى الخصام.. لماذا أردت قتلى إذن؟!

فأجهش رهمة فى البكاء وقال:

- يا ويلتى ... والله إنى لأحبك، ولكنى



سأعترف لك بكل الأمر ويحدث ما يحدث... اعلم يا صديقى أننا قوم نأكل لحم البشر ونحبه، وقد أصابنا من أكله نهم كبير، فنحن لا ندفن موتانا، وإنما نشويهم ثم نأكلهم، وإذا صادفنا فى طريقنا غريبٌ عنا فلا غنى عن صيده كما نصيد الحيوانات، وأنا كنت أقاوم نفسى عنك مقاومة شديدة .. أنت أبيض البشرة وهذا ما أسال لعابى، ولكنى الآن ندمت واعترفت لك بالأمر كله .. فافعل ما تراه الصواب، ولك أن تقتلنى إن شئت .

كاد مؤمن أن يقع من الدهشة والتعجب، فلقد اهتز لكلمات رهمة، وأدرك أنه أمام واحد من آكلى لحوم البشر، فحدثته نفسه بأن يقتله ولكنه أبى ذلك وسأله:

ـ ألهذا كانت لك نظرات مريبة يا رهمة؟! ولهذا كنت تريدنى أن أذهب معك إلى قبيلتك؟

تمرغ رهمة فى التراب وهو يــتوجع ويتأوه من الندم، فما كان من مؤمن إلا أن ضمه إلى صدره وقال:

- إن الله عفو يحب العفو يا رهمة، وإنه من عفا عند المقدرة عفا الله عنه يوم العــسرة، وما عفا رجل عن مظلمة يبتغى بهــا وجه الله إلا زاده بها عزاً يوم القيامة، ثم أنه أفــضل الأخلاق فى الدنيا والآخرة: تصل من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعــفو عمن ظلمك، مــا بك يا رهمة؟! إنهن ثلاث منْ كُن فــيه آواه الله فى كَنفهِ ونشــر عليه رحمتــه وأدخله جنته: إذا أعطى شكر وإذا قَدر غَفر، وإذا غَضب فتر.

لمعت عينا رهمــة، ونظر كالمنبهر فى عــينى مؤمن وقال له:

- من علمك كل هذه الأخــلاق؟ ومن أنت؟ قل لي؟

فقال مؤمن:

- إنه كلام رسولنا محمد ﷺ.. علمه إياه شديد القوي، ربنا الواحد الأحد، ونحن أمة الإسلام وهذه هى أخلاقنا..

وبينما هما يتحدثان سمعا حركة خفيفة بين الأعشاب وظهر على الأرض جيشٌ من النمل يتحرك، فابتسم رهمة وقال:

- انظر إنه نمل يسير كالجيش.

نظر مؤمن للنمل الذى بدا كفرقة حربية تتحرك فى نظام عسكري، وله قواد يقفون فى مراكز، وعلى أبعاد منتظمة مثل ضباط الجيش وكأنهم يصدرون الأوامر. وتسير الصفوف بنظام ومحاذاة دقيقة فقال مؤمن:

- إن فى القرآن سورة سُميت باسم النمل، واذكر أن نبى الله سليمان الذى كان يعرف لغة الطير والحيوان والجن وسائر المخلوقات بفضل الله .. قد

سمع حديث نملة، ولقد جاءت فى القرآن آية بذلك فقال رهمة بشغف: -ماذا قالت هذه الآية يا سيدي..

قال مؤمن: قال تعالى:

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾[1] فابتسم رهمة ابتسامة هادئة، وكأن النور قد غزا جبهته وقال:

ـ الله ... الله .... أهذا كلام الله؟ ... مؤمن .... أشهد ألا إله إلا الله وأن محمداً عبده

١ـ [النمل: ١٧ - ١٩].

ورسوله .. أشــهدك يا صــديقى بأننى قد تبت إليــه ورجعت عن ذنوبي. خــذنى أنت معك لنبتــعد عن القبيلة.

فرح مــؤمن فرحاً عظيمــاً ولم يملك نفسه فــأخذ يحتضن رهمة ويقبله ويقول:

ـ مــرحى بعــبد اللــه ... سأســمــيك من الآن «رحمة» وليس رهمة ما رأيك يا رحمة؟

وقبل أن تــتم الفرحــة إذا بأصوات ضجــة وإناس يصيحون باسم رهمة ويقول أحدهم:

ـ رهمة ... رهمــة ... لقد عثــرنا عليه ... لقد ذهب يصيد خنزيراً فاصطاد غلاماً أبيض.

وقبل أن يفر مؤمن ورهمة من المكان كانت العديد من الحراب مســددة نحوهما من رجــال سود الوجوه على هيئة رهمة، ولكن ليس فى عيونهم أية رحمة،

وكان مؤمن فريسة نادرة.

وبمنتهى الوحشية التى ميزت كل شئ فى الأدغال اقتيد مؤمن ورحمة إلى المعسكر الذى تقيم به القبيلة وهناك ربطوا مؤمن فى جذع شـجرة، وأخذوا رهمة إلى خيمة رئيس القبيلة، ولم يدر مؤمن ما الذى دار بالداخل، وبينمـا هو كذلك أتاه رجلان يـنظران إليه والفرحة فى أعينهما، وظنا أنـه لن يفهم لغتهم فقال أحدهما للآخر:

ـ أين عثر هذا الرهمة على هذه الفريسة اللذيذة؟

فقال الآخر:

ـ ولا شك أن الرئيس سوف يأمـر بعمل احتـفال جـميل، وتلتف كـل القبـيلة حـول الصيـد اللذيذ الأبيض وهو يشـوى على النار... ستكون أمـسيـة رائعة.

ولم يمض وقت طويل حتى كان رهمـة مقيداً إلى

شجرة أخري، وظلا هكذا إلى أن حل الليل فتجمع كل أفراد القـبيلة. وأشعلوا ناراً كـبيرة من أخـشاب الشجـر الجافـة ثم علا صـوت دقاتهم على الطـبول المصنوعة من جلود الحيـوانات ودخلوا رجالاً ونساءاً يرقـصون حـول النار، وأدرك مـؤمن أنها الطقـوس الأولية لعملية الاحتفـال، وأن هذا الاحتفال سيتوج بذبحه كالخراف، ثم سيـجلسون فى حفلة سمر إلى أن تنتهى مـسألة شـيه، وبعد ذلك يخـتمـون الحفل بتقسـيم لحمه اللذيذ على كل أفراد القـبيلة، وكانت صيـحات الرجال والنسـاء تصم الآذان ودق الطبول يوحى بالموت، وضاق صدر مـؤمن، وكاد أن يغشى عليه من الخوف، وحاول أن يتماسك فلم يقدر ونظر إلى رئيس القبيلة الذى كان يحـاكى الفيل فى حجمه وهو يخرج مـن الخيمـة الوحيـدة فى القبيلـة عندما اقتـرب منه ونظر إليـه نظرة لا حيـاة فيهـا، ثم نظر

ناحية رهمة وقال ينهره:

ـ أهذا الذى ختنتنا من أجله؟... إذاً لن تأكل من لحمه.. وسوف أعذبك عذاباً عظيماً..

ولمع فى الظلام سيف حاد وزاد من لمعانه انعكاس شعاع النار عليه، واقترب حامله من مؤمن وهو يسير على إيقـاع طبل لا يخـالطه أى غناء أو أجـراس.. وكان مؤمن يجـالد نفسه محاولاً التـماسك، وأخذ يتلو الشهادتين بلسانه، ولكن صوت الطبل وإحساسه بالذبح، ونظرة العـيـون الشاخـصـة المتطلعـة لمنظر الدمـاء، وبلادة وجـه حـامل السـيف، وخلوه من الشفقة قد أصابه بالدوران والدوران.

***



وحاول الغلام أن يثبت الأشياء فى عينيه إلا أن كل شئ أخذ يدور حوله بسرعة رهيبة، وأحس بثقل غريب فى رأسه وأصبح صاحب السيف يتنفس فى وجهه، **وأحس ببرودة حد السيف على رقبته فغاب عن الوعى تماماً**، وآخر ما سمعته أذناه هذه الصيحات والصراخ الذى توقع حدوثها من القوم بعد أن يشاهدوا رقبته وهى تسقط برأسه على الأرض.

أحس مؤمن بعطش شديد، ولم يفتح جفنيه.. بل تساءل هل هو الآن فى الآخرة؟! عندما شعر بلسعة خفيفة فى قفاه، اتجه لصوت يناديه، وهنا شعر بأن له جفنين عليه أن يحركهما لأعلى حتى يري، ولما فعل نظر فإذا النهار طالع، وإذا هو كما هو مقيد إلى جذع شجرة، ورحمة مقيد إلى شجرته



وينادى عليه وإذا المكان خال من كل الناس الذين كانوا ينوون ذبحه بالليل، ونظر نحو رحمة الذى قال له بعد أن رآه يتحرك:

- مؤمن ... سيدى الطيب ... هل أنت بخير؟!

لم يصدق مؤمن أنه ما زال حياً، وأنه ورحمة لم يصيبهما سوء، فنسى العطش وألم القيد وقال لرحمة:

- أحقاً نجونا يا رحمة؟! .. أين القبيلة؟ .. وما الذى حدث؟! أنا لم أدر شيئاً بعد أن أتى إليّ حامل السيف.

فقاطعه رحمة:

- قبل ذلك .. علينا أن نحل هذه القيود قبل أن يعودوا إلينا، وبعد ذلك سأقص عليك ما جري، اسمعنى أنت مربوط فى جذع شجرة قد غرسوه فى

الطين.. أما أنا فمقيد إلى شجرة قوية .. هيا حاول أن تستجمع قوتك لتنزع هذا الجذع من الأرض.

نظر مؤمن أسفل منه فأدرك صواب رحمة، فأخذ يقاوم ثبات الجذع فى الأرض، ويهزه بظهره ويدفع الأرض برجليه إلى أن تمكن من تحريكه من مكانه، وبدفعة قوية استطاع أن ينزع الجذع من الأرض، وسقط به على الأرض، وتمكن بسهولة من الخروج بالقيد منه، ثم حل وثاقه وجرى نحو رحمة وحل قيده ثم دخلا معاً خيمة الرئيس فأخذ مؤمن سيفه، وأخذ رحمة الحربة، وجريا يبتعدان عن المعسكر بكل ما لديهما من قوة فغابا داخل الأدغال، وبين كومة من أوراق الموز جلسا يلهثان حتى التقطا أنفاسهما، فقام رحمة وأحضر بعض ثمار جوز الهند وأخذا يتناولانه، وحكى رحمة ماقد حدث أثناء حفل القبيلة بالشواء فقال:

- عندما رأيت حامل السيف يخرج من خيمة رئيس القبيلة أدركت أن نهايتك قد حانت فأصابتنى الشفقة عليك، ولكنى لم أكن أملك لك إلا الدعاء لله فناجيته وقلت اللهم إن هذا عبدك قد هاجر فى سبيلك ليس له هم سوى إعلاء كلمتك .. إنه لم يجر وراء مال أو امرأة.. بل إن عبدك قد هدانى إلى سبيلك فإن كان له مكانة عندك يا رب.. فأغثه وأنقذه... اللهم الغوث اللهم الغوث اللهم النجدة ولم أتم كلماتى والسياف يذبحك فأغمى عليك، إذا بصارخ يصرخ من أعلى شجرة يقول «الأفيال.. الأفيال» ولم يتم صراخه حتى هجمت دبدبات أقدام قطيع رهيب من الفيلة كان يتجه نحونا بسرعة تفوق سرعة مياه النهر أثناء الفيضان .. وفى الحال فر جميع أفراد القبيلة من المكان تماماً، لم تمر دقائق حتى ظننت أننا سنسوى بالأرض تحت أقدام الفيلة

وكاد قلبى أن يتوقف والقطيع يخترق الساحة التى كنا فيها، وأخذت أبتهل إلى الله، وتذكرت كلامك الذى كنت تقوله عندما هاجمنا التمساح فنجونا به وأخذت أقول «يا حى يا قيوم برحمتـك أستغيث فأغثنا» ولم أصدق نفسى عندما كـانت الفيلة رغم هديرها تتجنب أن تصطدم بنا فأخذت أكبر الله وأقول « الله أكبر الله أكبر»، ومرت ساعة والقطيع يجرى لا ينقطع.. وكاد يخنقنى الغـبـار حتى مـر آخـرها وأنت لا تدرى أى شئ.

وأول ما قاله مؤمن بعد كلام رحمة:

-الحـمـد الله .. الحمـد لله الذى بنـعمـتـه تتم الصالحات .. الحمد لله.

ولم تكن هناك فرصـة للراحة من المفاجـآت فلقد سمعا صوت حفـيف بين الأشجار، ونظر مؤمن فإذا به يرى الرماح من أطرافها وهـى تسعى بين الحشائش

فأدرك أن هنـاك من يبحث عنهـما فـهمس لرحـمة قائلاً:

- انظر يا رحمة ... هناك ... أطراف الرماح.

وشهق رحمة شهقة عالية وقال بحذر وخوف:

- إنهم قبـيلة الفيل.. إنهم ألد أعداء قـبيلتنا... علينا بالفرار .. لو قبضوا علينا فلسوف ننتهى تماماً.

قام مؤمن ورحـمة يتحسـسان ليبتـعدا عن المكان ويبدو أن أفراد قبـيلة الفيل قد شعروا بهـما فحدثت المطاردة.

كان مؤمن يجرى بكل ما لديه من قوة، ولم يكن يفرقه عن رفـيقه سوى تجـمعات الأشجار الضـخمة وتكتـلات الأغصان والأوراق، وبيـنما هـما كذلك افتقـد مؤمن صديقه فلم يعد يـراه، ونظر خلفه فإذا الرماح تهرع وراءه بسرعـة فأدرك أن رحمة قد سلك طريقاً آخـر، ولم يكن يتوقع أبداً أن صفـاً من أفراد

القبيلة سيقابله فى المواجهة، وهكذا التفوا حوله وقبضوا عليه فأحس أنها النهاية هذه المرة.

ولم يكن هناك أى أثر لرحمة. .وتم إيداع مؤمن مكاناً يختلف عن سابقه فها هو يرى بيتاً طويلاً من غاب البامبو محمولاً على أعمدة وله سقف من القش، وعليه تعلق السيوف والرماح والمزاريق، وسياجاً آخر مستطيل الشكل كحظيرة الماشية، ورأى النساء والأطفال يجوبون وادياً منتظم الشكل من حيث أنواع الزرع والحدائق وخلافه، وأحس أنه فى مكان متحضر بعض الشئ. . وما هى إلا دقائق وهو مقيد إلى شجرة إذ لمح أفراد القبيلة يأتون من أعلى الوادى وهم يثيرون الغبار بخيولهم، وصرخاتهم وصيحاتهم وهز الرماح فى أيديهم تشير إلى فرحتهم الغامرة. . . حتى إذا قدموا إلى السكن نزلوا عن خيولهم، ولم يهتموا بأمره على الإطلاق. .كل

ماكان يهـمهم أن يرقصوا ويتعانقـوا فأدرك مؤمن أن حدثاً سعـيداً قد حل بالقبيلة، فـاطمأن إلى أنهم قد يغفلون عنه بعض الشئ حتى يستطيع رحمة أن يفعل له أى شئ ينقذه من الأسر.

وود مـؤمن لو أنهم اقتـربوا منه حـتى يعرف مـا الذى يفـرحهـم.. فكل ما وصل إلى إذنـيه كلمـة «الأفيال.. الأفيال»

ولم يلبث الأمر كثيراً فلقـد انتظم أفراد القبيلة فى جـماعـات وحـمل كل فـرد بلطة كبـيـرة، وذهبت مجـموعات أخـرى بالحبال إلـى اتجاه اليمين وفـجأة أصبحت القبيلة فى حركة شديدة كل فرد يصنع شيئاً وبدا أنهم فى شغل تام.

واقتـرب رجل من مؤمن وكـان يصاحب امـرأته فسألته:

- أين عثرتم على هذا الغريب الأبيض؟

فقال لها:

ـ لقد عثـرنا عليه ونحن نستطلع أمر الـفيلة، لقد كان بصحبة رجل من آكلى اللحوم الآدمية.

فشهقت السيدة وقالت:

ـ لابد أنه كان ينوى أكله ... أو أن هذا الغريب له نفس الطباع وهو أيضاً من آكلى لحوم البشر.

فقال لها وهو ينظر لمؤمن :

ـ لا نعرف حـتى الآن... المهم أن لحظة قبـضنا عليه بالتحديد لاحت بشائر الفيلة. إنه فأل حسن.

نظرت السيدة فى وجه مؤمن وقالت:

ـ إن وجهه لجميل وكأنه يشع نوراً ... ألا يكون هو النسر الأبيض الذى حدثنا عنه الكاهن كثيراً.

تبلدت ملامح الرجل وهو ينظر لمؤمن ثم انقبضت فانبسطت ثم ابتسم وقال:

ـ لو كان ذلك حقاً فسوف يصـيبنا خير كثير...

إذا نجح الرجال فى صيد الفيلة فسيتم الأمر كله.

فقالت السيدة متسائلة:

- من أين ستأتى الأفيال؟

فأشار الرجل إلى اتجاه الشمال، وهنا صرخ مؤمن الذى كان يفهم حوارهما وقال للرجل:

- لا ... بل ستأتى من الشرق يا سيدي.

انتفض الرجل وزوجته، وكانا يظنان أنه لا يتحدث بلغتهم، ولم ينتظر الرجل كى يتحقق من الأمر، فسأله على الفور:

-هل أنت متأكد؟ ... افصح.. كيف عرفت ذلك؟!

فقال مؤمن وقد أحس ببعض الارتياح:

- سيدى لقد مرت عليّ الأفيال بالأمس، وأنا أعرف اتجاه سيرها.. ولو أخطأت فاقتلني.

أدرك الرجل أن مؤمن لن يغامر بحياته من أجل

كذبة لن تنفعه، فوقف ينادى فى الرجال:

- أيها الرجال ... أيها الرجال... النسر الأبيض يقول لكم إن الأفيال ستأتى من جهة الشرق... هيا انصبوا المصيدة إلى اتجاه الشرق.

وقف الرجال ينظرون لمؤمن نظرة ملؤها الخشوع، ثم استداروا يهرعون نحو عملهم، وأدرك مؤمن أنه كان يخاطب رئيس القبيلة الذى لم يكن مميزاً عن بقية الرجال بأى تمييز، فأحس أنه بين رجال بسطاء لا فرق بينهم فى المظهر، وبعد قليل هرع راكب الأشجار وهو المراقب الذى يقف فوق أعلى شجرة ليراقب اقتراب الفيلة واتجاههم. كان يلهث حتى إذا وافى رئيس القبيلةقال له: - سيدى ... إنها لم تأت من الشمال كما كنا نعتقد... إنها تقترب من ناحية الشرق.

نظر الرئيس إلى مؤمن نظرة ملؤها الإعجاب

والخشوع ونادى بعض الرجال وقال لهم:

- فكوا وثاق النسر الأبيض ... واحضروا له واجب الضيافة وأعدوا له كوخاً بعد الصيد.

ولكن مؤمن قال بعد أن أحس بالنجاة من الموت:

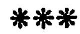
- سيدى الرئيس .. هل أعاونكم فى هذا الصيد الكبير إن نفسى تتوق لذلك؟

كان القطيع يجرى من اتجاه الشرق بسرعة عظيمة فى أعداد هائلة.. فكان إيقاع هذا القطيع المتوحش فى فخ محكم شئ مروع وخطير.. لقد كان الرجال يسحبون مجموعة من الأشجار الطويلة إلى المكان المحدد، وأخذوا يغرسون الأشجار فى الأرض على أعماق بعيدة بكل ما لديهم من قوة وسرعة، حتى صنعوا دائرة واسعة من الخشب لها جناحان ومفتوحة من الاتجاه الذى ستأتى منه الأفيال، وأخذوا يربطون

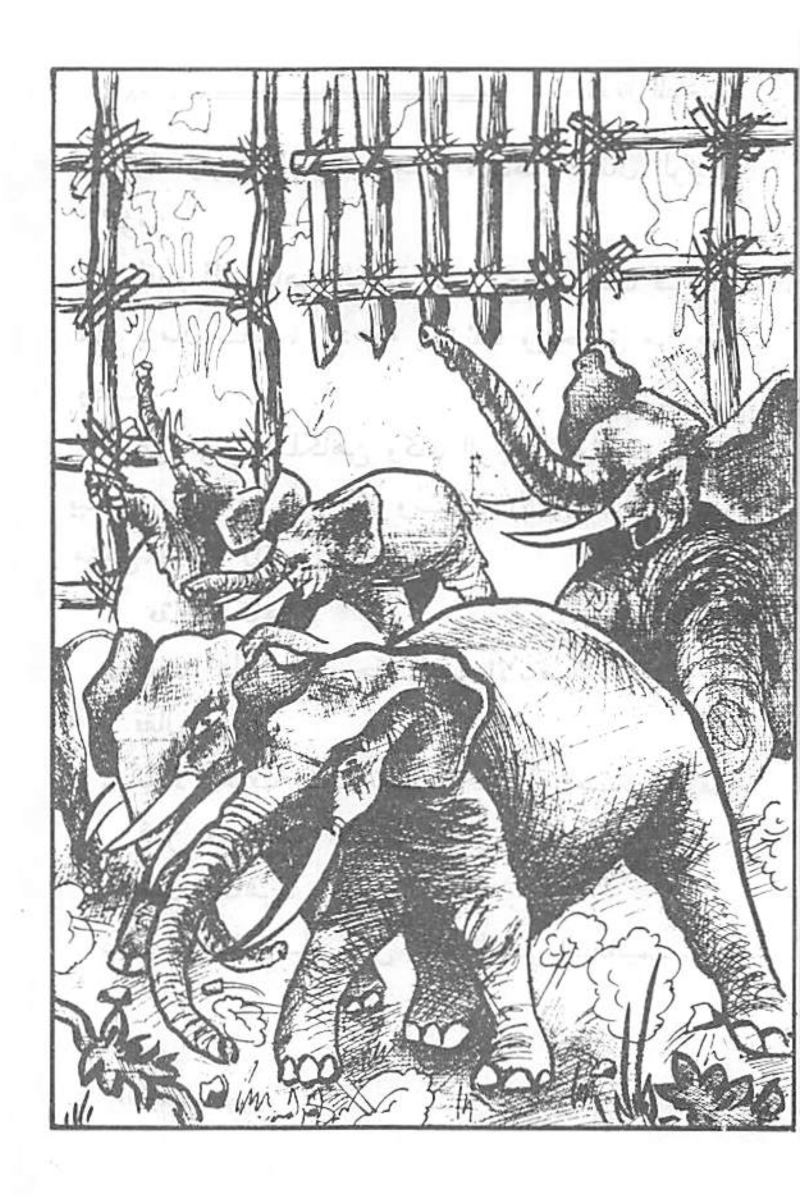
الأشجار ببعضها بحبالٍ من الخيرزان فى قوة الأسلاك الحديدية، فبدت المصيدة وكأنها جزء من الأدغال. حتى إذا أتموا صنع البوابة وتم تعليقها بين الأشجار، هرع الرجال فتفرقوا على جانبى الطريق الذى يتوقع أن تأتى منه الأفيال ومعهم الطبول الكبيرة، فلما اقتربت الأفيال أخذوا يقرعون الطبول وأحدثوا جلبة أصمت الآذان، فاندفعت الفيلة خوفاً من أصوات الطبول تسير فى اتجاه المصيدة وكان المشهد فى غاية الإثارة عندما اندفعت الأفيال تدخل المصيدة بنفسها، حتى إذا دخل آخر واحد منهم انهارت البوابة الضخمة ثم أحكم إغلاقها، ولم يكن دور مؤمن فى هذا العمل سوى أنه قطع حبل البوابة لتسقط مغلقة فتحة المصيدة.

وعلى الفور أخذ الرجال يقطعون بعض أعواد أشجار المصيدة ويسحبون الفيلة الصغيرة حتى لا

تموت تحت أقدام الأفيال الكبار. ولما اطمأن القوم لنجاح عملهم أخذوا يبتهجون ويرقصون، وحمل أحدهم مؤمن على عنقه وعادوا إلى موقع الفيلة وظلوا هكذا حتى الليل فأشعلوا النار، وأحضر الصيادون ما لذ وطاب من الصيد ليشوى ويأكلوا منه.







وجاء رئيس القبيلة ومعه الكاهن فقال الرئيس لمؤمن:

- أقدم لك كاهن القبيلة الذى حدثنا عنك قبل أن تأتى بزمان بعيد.. دعه يحدثك ويتحقق من ظنه وظننا.

ونظر مؤمن للكاهن وكان الرجل رغم كبر سنه يبدو عليه الذكاء الحاد وسعة الأفق فسلم عليه مؤمن، ودعاه للحديث.

فقال الكاهن:

-كيف تدلنى أنك حقاً النسر الأبيض؟

فقال مؤمن :

- أنا لا أعرف ماذا تقصد ... أنا اسمى مؤمن .. فمن هو النسر الأبيض؟

فقال الكاهن:

- هو إنسان يأتى من بلاد النهر العظيم.. له

عقيدة نقية... أخلاقها حميدة، منبعها التقوى من الله.

فاندهش مؤمن وسأله:

- هل تعبدون الله يا سيدى الكاهن؟ هذا شئ طيب.

فقال الكاهن:

- لقد ورثت عن أجدادى أخباراً فى مخطوطات التوراة تقول أن هناك نبياً سيأتى فى آخر الزمان اسمه «محمد» بدين يسود الدنيا بإنسها وجنها.. فهل حدث ذلك الآن.

أجابه مؤمن قائلاً:

- نعم... ألم يصلكم خبره حتى الآن؟! إنه محمد«ﷺ» خاتم الأنبياء والمرسلين.

فقال له الكاهن:

- أصدقنى القول يا بنى ... إن لى علامات

رأيتها في بعض الرؤى، حتى أتأكد فإذا أجبتنى عنها تكون أنت النسر الأبيض.

فقال مؤمن :

ـ الله المستعان يا سيدى الكاهن.. هات ما عندك.

قال الكاهن:

ـ أولاً ... قل لى أمر ثلاث منجيات.

فقال مؤمن:

ـ فأما المنجيات فالعدل فى الغضب والرضا ، وخشية الله فى السر والعلانية، والقصد فى الفقر والغني.

فابتسم الكاهن وقال:

-هذه الأولى أما الثانية؟: ما مكة؟ وكيف الصفوف؟.. و..أين المصاحف؟ وكيف أن أمة ثلاثة أثلاث؟

فقال مؤمن:

ـ أما مكة فيها البيت الحرام وفيها ولد محمد ﷺ وإليها الحج كل عام.. والصفوف هى الناس إذا قاموا للصلاة، والمصاحف فى قلوب المسلمين محفوظة والثلاثة أثلاث فأمة محمد.

ثلث سيدخلون الجنة بغير حساب، وثلث سيدخلون برحمة الله، وثلث سيحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة.

فقال الكاهن:

ـ صدقت والله... إنه لنبأ عظيم.... مرحباً بك أيها النسر الأبيض.

ثم التفت الكاهن لرئيس القبيلة وقال له:

ـ والآن أيها القائد. أنت تعلم أن العلم كله عندى وأنا المعلم الحقيقى لكل أفراد القبيلة ولدى أخبار الأمم السابقة.

أشهدك وأشهد النسر الأبيض أننى مسلم وأنه لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.. فماذا ترى فى قومنا؟

فبش القائد لكلام الكاهن وقال:

-ما كان لى أن أعصى أمر الله.... يا رجال... يا أفراد قبيلة الأفيال.. أشهدكم أننى مسلم وأنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله... فمن منكم يبايعنى على الإسلام؟

لم يتردد أحد، رجالا ونساء فقالوا فى لسان واحد: لا إله إلا الله محمد رسول الله... الله أكبر ولله الحمد .

كانت هذه الأيام التى عاشها مؤمن فى قبيلة الأفيال مزيجاً من العلم والمتعة والخبرة والبحث، فلقد أنشأ حلقات لحفظ القرآن، وتعليم اللغة العربية، وإعطاء الدروس فى الحديث وفقه العبادات

والسيرة النبوية، وحظى بمكانة كبيرة عند رئيس القبيلة، فتعلموا منه الصلاة والصيام وأقاموا شرع الله، فاتسعت رقعة الخير وانتظم أمرهم، ووجدوا فى الشريعة الإسلامية دواء لكل ما كان يصادفهم من مشاكل فتعلموا الطهارة والنظافة، وبدلاً من البيت الواحد الذى كان يضم كل أفراد القبيلة... قسموه من الداخل لغرفات فأدركوا نعمة الحياء والخصوصية، وبدت حياتهم مختلفة عما كان من قبل.

وذات يوم دار الحديث عن رحمة الذى اختفى فى المطاردة وشرح مؤمن أمره لرئيس القبيلة فقال:

ـ أخشى أن يقع هذا العبد المسلم فى أيدى هؤلاء الكفرة. لابد أن نتنسم أخباره .

وأرسل القائد جواسيساً يجوبون الأنحاء ليبحثوا عن رحمة.. فعاد آخرهم يقول:

- إننى هبطت لمكان القبيلة المتوحشة.. فعثرت على معسكرهم ... وإن الرجل الذى أعطيت أوصافه كان مقيداً إلى صليب، وكل من يمر به كان يشتمه ويبصق عليه ، والأطفال يرمونه بالقاذورات.

لم يطق رئيس القبيلة هذا الحال وثارت ثائرته ونظر لرأى مؤمن الذى قال:

- سيدى الرئيس... علينا أن ننذر هذه القبيلة ونحذرهم من بأسنا وقوتنا ونطلب منهم أن يردوا علينا رحمة .. فإن فعلوا فهم فى أمن منا، وإذا لم يفعلوا أعلنا عليهم الحرب... إن الله يأبى ذلك .

وعلى الفور قامت مجموعة من الرجال الأقوياء بالخروج إليهم ومعهم رسالة مؤمن وعليهم أسلحتهم وعتادهم كاملاً حتى إذا بلغوا مكانهم كادوا أن يلتحموا فى حرب مع الأوباش،إلا أنهم بينوا لهم سبب الحضور.

فلما أُدخلوا على رئيس القبيلة عرضوا عليه الأمر فثار غاضباً وقال لهم:

يصعب عليّ أن أترككم تذهبون وأنتم صيد ثمين، ولكن سأدعكم لتخبروا قائدكم.. إننا أصحاب البأس والقوة فلتكن الحرب التى تزعمون، إنما هى بالنسبة لنا رحلة صيد وسيكون الشواء فى هذا اليوم كثيراً. قولوا له ألا ينسى أننا لا نخاف شيئاً.. بل أننا نأكل لحم البشر ونشرب دمه.

عادت الرسل بما كان من أمر قائد الأوباش فما كان من قائد الأفيال إلا أن أمر بانعقاد مجلس الحرب.

وفى هذا المجلس كان هو و الكاهن ومؤمن وكبار رجال القبيلة وخيرة شبابها وتشاوروا فيما بينهم فكان قرارهم «الحرب»

ومن ناحية أخرى كان الأوباش يتجهزون للحرب

ويجمعون رجالهم من المصائد، وأخذ كل فريق يجهز كميات كبيرة من السم الزعاف الذي يتم منه دهان أطراف الأسهم والرماح حتى يكون أثرها قاتلاً فى الحال، وأصبح كلا المعسكرين متأهباً للقتال، وكل منهما ينتظر أن يخرج الثانى ويأتى إليه، وظلا هكذا كثيراً حتى قال مؤمن للرئيس والكاهن:

.. يا سيدى الرئيس.. ألن تغير رأيك.. وتدعنا نخرج إليهم .. قبل أن يداهمونا هنا؟

فنظر إليه الرئيس وقال:

- أيها النسر الأبيض.. أنت لا تدرى ما هى حروب الأدغال... إننا كما نصبنا لهم الفخاخ والمصايد حتى يقعوا بها .. هم أيضاً قد جهزوا لنا مثلها ولو خرجنا لهم لا نعلم ماذا يصيبنا.

فقال الكاهن:

إن كلام النسر الأبيض صحيح أيها الرئيس.. لقد

أعلنا نحن الحرب، وعلينا ألا ننتظر أكثر من هذا .. ثم لا ننسى أن الله معنا وسيؤيدنا بجنوده... ثم إن رجالنا قد تجسسوا وعرفوا أكثر فخاخهم وعلينا أن نخرج لتأديبهم ونداهمهم من خلفهم فهم لا يتوقعون منا ذلك.

فقال مؤمن:

لا يهم يا سيدى الرئيس ... لا بد أن تكون المبادءة منا نحن... ماذا قلت؟

فقال القائد :

ـ فلتكن مشيئة الله ... يا كبير الجيش .. جهز الجنود للخروج مع بداية الفجر.. والله معنا .

فقام مؤمن ممسكاً سيفه وقال للقائد:

ـ لابد أنهم الآن قد خرجوا من أكواخهم، ولم يتركوا فيها غير النساء والأطفال والشيوخ .. أنا سأنتهز الفرصة وسأسبقكم إلى هناك، فأحرر رحمة

من الأسرعندما تكونون قد شاغلتموهم بالحرب.

وافق القائد على فكرة مؤمن، وفى الفجرخرج الجميع من المعسكر وقد تركوا حامية صغيرة للدفاع عن النساء والشيوخ إذا لزم الأمر ، ولماساروا هذه المسافة الدائرية؛ ليداهموا العدو من خلفه إستأذن مؤمن القائد فأذن له ، وخرج فى اتجاه معسكر الأوباش آكلى لحوم البشر،وقبل أن يقترب من المكان أحس بحركة غير طبيعية تنبعث من هناك، فاقترب على حذر ولما دنا نظر فكاد أن يتوقف قلبه من الهلع.

رأى الحامية التى تدافع عن القرية وهى تصارع باستماتة عصابة من النمور المتوحشة قد هاجمتها. كانوا أكثر من ثلاثة نمور، أما النساء والأطفال فلقد كانوا يصرخون من خلف الأكواخ الرقيقة، والنمور تهجم بشراسة. ونظر فإذا رحمة مصلوب إلى

الشجـرة، فاستل مؤمن سـيفه وجرى أول مـا جرى نحو رحمـة فقطع عنه الحبال، وأعطاه سيفـاً ورمحاً فانضمـا إلى النفر القليل من شيوخ القـبيلة وأخذوا يصارعـون النمور التى كـانت فى منتهى الشـراسة، فأخذ رحمة بخبرته يرميـها بالرماح ومؤمن يستخدم رشاقـته العجـيبة فى القـفز والطعن ، فـاستطاع أن يطعن أحد النمور طعنة قاتلة وانضم لـرحمة فنجحا فى قتل النمر الثاني،

ثم انضـما إلى أحـد الشيـوخ الذى كان عـرضه للافتـراس من النمر الثـالث، فألقى مؤمـن بالسيف وحمل حربة سامة ودفـعها فى بطن النمر فأرداه فى الحال، وكـان النمر الرابع يسحب طفلاً من مـلابسة ويجـرى به نحـو الأحراش، فـجرى مـؤمن خلفـه وبسرعة تعلق بالنباتات المتسلقة وقـفز بها قفزة رائعة ليـصبح أمـام النمر الذى كـان على وشك افتـراس

الطفل، فلما رأى مؤمن، ألقى الطفل من فمه واستعد للنزال، ولكن مؤمن لم يمهله؛ فلقد أمسك السيف من حده ودفعه كالريح ليرشق فى حلق النمر ويخرج النصل من رقبته، فخر النمر صريعاً،وجرى مؤمن نحو الطفل فوجده حياً لم يمسسه سوء وقبل أن يحمله رأى النسوة والأطفال يجرون نحوه وهم يصرخون فلما رأوه يمسك به والطفل يبكى التفوا حول مؤمن يعانقونه ويقبلونه، وعادوا إلى القرية فقال كبير الشيوخ بالقبيلة: والله لا تكون هناك حرب أبداً بيننا وبينكم .. تعاليا معى إلى ميدان الحرب.

ومن ناحية أخرى كانت طبول الحرب تدق فى الميدان ،والفريقان على وشك الالتحام.

ووقف قائد المسلمين يقول للكاهن:

ـ لقد جئناهم من حيث لا يحبون ولا يحتسبون... هكذا الحرب خدعة ... إن كل

مصائدهم وفخاخهم لا لزوم لها الآن.

فقال الكاهن:

- شئ مـــا يحـــدثنـى أن النســـر الأبـيض فى خطر.... لقد تأخر كثيراً... أليس كذلك؟

وفى معسكر الأوباش كـان الأمر مختلفـاً فها هو القائد يحدث كبير الجند فقال:

- أترى ما وضعنا فيه من مـأزق يا كبير الجند؟ ها هم قد غافلونا وداروا خلفنا.

فابتسم كبير والجند وقال:

- لا يهم يا سيـدي... إنهم قد وضعوا أنفـسهم فى مأزق لن يحسدوا عليه.

قال القائد:

- وكيف ذلك؟

قال كبير الجند:

- سنناوشهم بالقلب فـقط ونترك الميمنة والميـسرة

بلا هجوم فى الخفـاء بين الأشجار، حتى إذا تقـهقر القلب واستدرجـهم إلى هنا ينقـسم القلب لجـزئين ينضم كل جـزء إلى المـيـمنة والميـسـرة ... عندمـا تتحـركان فى الحـال لتطويق جيشـهم من الخلف ثم نضغطِ عليـهم فنكون نحن من أمامـهم والمصائد من خلفهم ... ماذا قلت يا سيدى القائد؟

ضحك الرئيس ضحكة كبيرة وقال بغرور:

ـ إنك لداهية ... سأمنحك ربع جيشهم فتشوى منهم ما تشاء.. ها .. ها ... ها .

علت الرايات الحمـراء، وبرزت القوتان لبعضـهما وأمسك صاحب البوق بشفـتيه على بوقه وهمّ بالنفخ لتبدأ الحـرب؛ وإذا بمؤمن والشيوخ ورحمـة يظهرون فى منتصف الطريق ...

وقال قائد الأوباش لكبير الجند:

ـ مـا هذا ؟ !.... إن شيـوخ القرية يصـحبـون

الغـلام الأبـيض ويأتون إلينا... هـل حـدث شئ للنساء والأطفال؟!

واقترب كـبير الشيوخ نحـو رئيس الأوباش ومعه مؤمـن، واندفع قائد المسلمين فـانضم إليهم وسـمع الشيخ يقول للقائد:

-اسـمع أيهـا القــائد... لا حـرب مع هؤلاء القوم.. إنهم أحسن الخلق أتعرف ماذا فعلوا...؟

اقتربت الجنود ليسمعوا فقال الشيخ:

-لقد هاجمت النمور القرية، وأنتم هنا لا تدرون شيئاً.

فثارت ثائرة الجند وهموا بالصـياح والاندفاع نحو القـرية لإنقاذ المـوقف وقتل النمـور ولكنه قـال لهم بسرعة:

ـ هذا الغلام الأبـيض الذى كنا سنشويه يومـاً ما ومـعه رهمـة الذى طالما عـذبناه-وأهناه، لقد أنقـذا

القريـة وقتلا كل النـمور.. والله إن هذا الغـلام قد أخرج الطفل من فم النمر وقتله. فهل نحاربهم؟...

أهذه الأخلاق تحارب يا قوم؟

فعلا صوت الجند :

-... لا... لا... لا.

فنزلت عبـرة من عين قائدهم، ثم احتـضن مؤمن وبعده تعانق مع قائد المسلمين فأنزلت الرايات الحمراء واقترب الجيشان من بعضـهما ورفعت الراية البيضاء. وفي الخلاء حدثت المعـجزة فها هي قـبيلة آكلي لحوم البشر بكاملهـا تندم وتتوب وترجع، والكل بايع مؤمن على الإسلام وتوحيد الله، واتحدت القبيلتان في قبيلة واحدة، وعاد الجـميع أسرة واحدة، وفي المســاء أقيم احتفالاً. كـبيرا يشهد الصلاة الجامعـة؛ صلاة العشاء لأول مـرة في براري الأدغال.. وقـام الكاهن فقـدم لمؤمن جوهرة غـريبة الشكل وقال له.. هـذه الجوهرة

ورثتها عن أجدادي.

هى هدية لك .. هيا ... فالقوم قد أعدوا مأدبة كبيرة من اللحم وما لذ وطاب. احتفالاً بك..

نظر مؤمن للجوهرة وهو سعيد، وعلم على الفور أنها جوهرة «العفو» وكيف أنه لو انتقم من رحمة يوم أن اكتشف محاولة قتله وأكله لما تحقق هذا الخير وقام فجلس بين القوم فقدم له طاهى القبيلة طبقاً به شئ يلمع من الدسم فنظر مؤمن وسال لعابه فقال للطاهي:

- أى طعام هذا ؟

فابتسم الطاهى وقال :

سيدى النسر الأبيض... هذه أطيب أكلة لدينا... إنه طبق النمل الأبيض المحمر مع يرقات الخنافس وبيض السلاحف.

تمت بحمد الله تعالى

وإلي اللقاء مع مؤمن في..

جوهرة «الصقيع المظلم»

وإلي أللقاء مع ...
جوهرة الصقيع المظلم «6»

يجب أن تتعلم كيف تعيش هناك ، وكيف تجد الماء والطعام ، وكيف توقد النار ، ومن المهم جداً الاستعداد لمواجهة أي طارئ ، إن الأدغال ليست علي وئام مع الإنسان كن يقظاً .. تفحص الأرض التي أمامك بكل عناية ، وتجنب التسرع .. وإياك أن تحاول التنقل في الأدغال ليلاً إن الحياة هناك شبه مستحيلة ... تري ماذا فعل مؤمن في الأدغال هل اتبع هذه النصائح ..

مع تحيات
دار الدعوة
للطبع والنشر والتوزيع

تمتع مع مؤمن فى :

١ـ جوهـرة الكهـف المسحـور .
٢ـ جوهـرة البحـر الســابـع .
٣ـ جوهـرة البركـان الأحمـر.
٤ـ جوهـرة مملكـة الموتـي .
٥ـ جوهـرة الأدغـال المتـوحشـة.
٦ـ جوهـرة الصقيع المظلم .
٧ـ جوهـرة البريق الغـامـض .
٨ ـ جوهـرة المدينـة المتـحجرة.
٩ـ جوهـرة مـينـاء المذبح .
١٠ـ جوهـرة الرمـال الملتهبة

مع تحيات

دار الدعوة

للطبع والنشر والتوزيع